

أضواء البيان

. @ 286

فإن قال قائل : لم أنكرتم أن يكون قوله : { مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِيكُمْ } وقوله { لِمَا خَلَقْتُمْ بِيَدَيْكُمْ } على المجاز ؟ . .
قيل له : حكم كلامه عز وجل أن يكون على ظاهره وحقيقته ولا يخرج الشيء عن ظاهره إلى المجاز إلا لحجة . .
ألا ترون أنه إذا كان ظاهر الكلام العموم فإذا ورد بلفظ العموم ، والمراد به الخصوص ، فليس هو على حقيقة الظاهر ؟ .
وليس يجوز أن يعدل بما ظاهره العموم عن العموم بغير حجة ؟ .
كذلك قول الله عز وجل { لِمَا خَلَقْتُمْ بِيَدَيْكُمْ } على ظاهره وحقيقته من إثبات اليمين ، ولا يجوز أن يعدل به عن ظاهر اليمين إلى ما ادعاه خصومنا إلا بحجة . .
ولو جاز ذلك لمدع أن يدعي أن ما ظاهره العموم ، فهو على الخصوص ، وما ظاهره الخصوص فهو على العموم بغير حجة . .
وإذا لم يجز هذا لمدعيه بغير برهان ، لم يجز لكم ما ادعيتموه ، أنه مجاز بغير حجة . .
بل واجب أن يكون قوله { لِمَا خَلَقْتُمْ بِيَدَيْكُمْ } إثبات يدين الله تعالى في الحقيقة غير نعمتين إذا كانت النعمتان لا يجوز عند أهل اللسان أن يقول قائلهم : فعلت بيدي وهو يعني النعمتين . اهـ محل الغرض منه بلفظه . .
وفيه تصريح أبي الحسن الأشعري رحمه الله ، بأن صفات الله كصفة اليد ثابتة له حقيقة لا مجازاً ، وأن المدعين أنها مجازهم خصومه وهو خصمهم كما ترى . .
وإنما قال رحمه الله : إنه تعالى متصف بها حقيقة لا مجازاً ، لأنه لا يشك في أن ظاهر صفة الله هو مخالفة صفة الخلق ، وتنزيهاها عن مشابهتها كما هو شأن السلف الصالح كلهم . .
فإثبات الحقيقة ونفي المجاز في صفات الله هو اعتقاد كل مسلم طاهر القلب من أقدار التشبيه ، لأنه لا يسبق إلى ذهنه من اللفظ الدال على الصفة كصفة اليد والوجه إلا أنها صفة كمال منزهة عن مشابهة صفات الخلق .